خطبة بعنوان

شرح حديث: «من أدركه رمضان»

بتاريخ/ ٢٦ رمضان/ ١٤٤٥هـ

لفضيلة الشيخ

محمد بن عبد الله الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدىٰ هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد:

فكما تعلمون أن الله عز وجل فرض علىٰ عباده صيام رمضان لِحِكَم كثيرة ومتنوعة، وخلاصتها: أنها حِكَم في الدنيا وحِكَم في الآخرة.

ومن الحِكَم العظيمة في فرض صيام رمضان علىٰ العباد: أنه سبحانه وتعالىٰ يتفضل عليهم بالمغفرة والرحمة، وهذه المغفرة إنعام وإكرام من الله عز وجل علىٰ من يشاء من العباد، ولهذا كان من أعظم ما يُطلب في شهر رمضان من رب

العالمين الكريم الرحمن المغفرة والرحمة .

فهذه المغفرة مطلب كل مسلم، يعلم قدرها وعظمتها ومسيس الحاجة إليها فكيف لا نرغب في نيلها والفوز بها.

ولقد أنبأنا الرسول عليه الصلاة والسلام بنبأ عظيم، وأخبرنا بخبر يقين ينبغي أن نسمعه جميعًا، وأن نفهمه ، وأن نحذر أن نعرِّض أنفسنا لما حذَّر منه عليه الصلاة والسلام ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له أبعده الله**»، هذا الحديث قد جاء عن عدة من الصحابة، ذكره الكتاني رحمه الله في "النظم المتناثر في الحديث المتواتر" من جملة الأحاديث المتواترة، وذكره عن تسعة من الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم، ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه، وحديثه قد جاء بلفظين:

الأول : قوله عليه الصلاة والسلام: «**رغم أنف رجلدخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له**»، وهذا عند الإمام الترمذي وغيره.

وتفسير « **رغم** » بما قاله ابوالعباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابة المفهم: وأرغم الله أنفه، أي: ألصقه به، وهذا من النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ دعاء مؤكد .

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون معناه: صرعه الله لأنفه فأهلكه.

وثانيهما: أن يكون معناه : أذله الله، لأنَّ من ألصق أنفه -الذي هو أشرف أعضاء الوجه - بالتراب - الذي هو موطئ الأقدام وأخس الأشياء - فقد انتهىٰ من

الذل إلىٰ الغاية القصوىٰ، وهذا يصلح أن يدعىٰ به علىٰ من فرط في متأكدات المندوبات، ويصلح لمن فرط في الواجبات.

واللفظ الثاني: عند الإمام ابن حبان أن الرسول عليه الصلاة والسلام صعد المنبر، فلما صعد الدرجة الأولىٰ قال: «**آمين**»، فصعد الثانية وقال: «**آمين**»، وصعد الثالثة وقال: «**آمين**»، فقالوا: يا رسول الله، علامَ أمَّنت؟ قال: «**أتاني جبريل فقال : يا محمد، من أدرك شهر رمضان فلم يُغفره فأبعده الله، قل آمين، فقلت آمين**».فهذا الدعاء علىٰ هذا الصنف من جبريل من الرسول ﷺ فيا له من دعاء ممن يستجاب دعاؤه فالحذر من التعرض أن يكون الواحد منا هو المدعو عليه.

وجاء من حديث جابر عند الإمام البخاري في "الأدب المفرد" أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**شَقِي عبد أدرك رمضان فنسلخ منه ولم يُغفر له**»، ومعنىٰ (شَقِي) أي: بَعُد وهلك بسبب أنه لم يُغفر له.

فهذا الحديث بيَّن لنا أن الحرمان من مغفرة الله في رمضان أنه من العقوبات التي تلحق بعض الصائمين، فلهذا – معاشر المسلمين – نحن بحاجة إلىٰ أن نعلم ما يسبب لنا أن ننال مغفرة الله في كل وقت وفي كل آن، لا سيما في هذا الشهر العظيم، فإنَّ طَلَبها ونيلها والوصول إليها فيه آكد وأوكد، بدليل هذا الحديث الذي سمعتموه.

وقد بنىٰ العلماء علىٰ هذا الحديث أموراً وقالوا من لم يصلح في رمضان فلا يصلح في غير رمضان ومن تقبل عند الله في رمضان فلن يقبل منه في غير رمضان ومن لم يتب الىٰ الله في رمضان فلن يتوب الىٰ الله في غير رمضان ومن لم يغفر له في رمضان فلا يغفر فيما سوىٰ رمضان وما كان بهذا المعنىٰ من كلامهم ومفاد كلامهم هذا أن الذي لم يغفر له في رمضان يخشىٰ عليه الخذلان من الله فلا يوفقه إلىٰ أي خير عقوبه له منه سبحانه لأن هذا الصنف جاءه الخير وأسباب المغفره من أوسع الأبواب فاستهان بذلك وإلا فالله يغفر ويتوب علىٰ من تاب في أي وقت في رمضان وفي غير رمضان .

وكما تعلمون أن الله عز وجل قد جعل العبادات في شهر رمضان والطاعات تُضاعَف فيها الأجور أضعافاً كثيرة، أضعافاً بدون حساب، وهذا من أسباب سهوله الحصول علىٰ المغفره فيه.

فقد روىٰ الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**قال الله: الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها**» أي: في العبادات الأُخَر «**إلىٰ سبعمائة ضعف، إلىٰ أضعاف كثيرة**».

فالحسنات تُضاعف إلىٰ حدٍّ محدود في العبادات الأُخَر من صلاة وصدقة وغيرها، ولكنها في رمضان تُضاعَف بدون حدود، فمن أدركه رمضان ولم يَنَلْ مغفرة الله فهذا دليل علىٰ أنه فرَّط وقصَّر وأهمل وتكاسل في القيام بما ينال به

مغفرة الله عز وجل ورحمته.

وقد بيَّنت الأحاديث ما به تُعطىٰ المغفرة في رمضان، فقد روىٰ الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه**».

هذا الحديث بيَّن لنا فيه رسولنا عليه الصلاة والسلام: أن صائم رمضان متىٰ كان مؤمنًا إيمانًا جازمًا بفرضية هذا الصيام، أنه قد أصاب في اعتقاده هذا واستقام هذا الاعتقاد.

وكذلك قوله: «**واحتسابًا**» أي: صامه مخلصًا لله، راغبًا في مغفرة الله، راجيًا رحمة الله، يريد أن يكون من عتقاء الله، فمن صامه علىٰ هذا فقد أصاب وأفلح ويُرجىٰ له أن ينال المغفرة التي وُعِد بها، بخلاف من صام شهر رمضان من باب العادة، أو من باب الرياء أنه يصومه حتىٰ لا يُقال لم يصم، أو صامه لأن زملاءه يصومون وليس صادقًا مع الله ولا مخلصًا لله؛ فهذا من أسباب ردِّ صيامه وإبطال عمله هذا، ومن الأدله علىٰ تكفير الصيام ذنوب كثيرة .

ما جاء من حديث حذيفة في البخاري ومسلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**فتنة الرجل في أهله وولده وماله وجاره تكفِّرها الصلاة والصوم والصدقة**»، فهذا من شأن الصيام مع غيره من هذه العبادات التي سمعتموها.

ولما كانت الأجور كثيرة لمن صام رمضان كما شرع الله ولمن أقبل علىٰ عبادة الله؛ قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**من فطَّر صائمًا فله مثل أجره**» رواه الطبراني عن أبن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فجُعِل له مثل أجر الصائم مع أن أن التفطير عمل خفيف وسهل علىٰ كثير من الناس وما هذا إلا لأن الأجور تضاعف في رمضان بدون حدود فكيف لا تكون أسباب المغفرة في رمضان كثيرة ونفيسة ينال بها العبد المغفرة العظيمة والواسعة من قبل الله.

وما هي المغفرة التي تُعطىٰ لمن صام رمضان وقامه إلىٰ آخره،

الجواب سبق في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**غفر له ما تقدم من ذنبه**» والمراد بما تقدم من ذنبه ما ما دل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآخرأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة ورمضان إلىٰ رمضان مكفِّرات ما بينهن إذا اجتُنب الكبائر**».

فالذنوب التي تُكفَّر بسبب هذا الصيام هي ذنوب السنة، فهذا شأن العبادات أن الصلاة تكفِّر الذنوب التي وقعت من بعد الصلاة التي قبلها، وهكذا الجمعة تكفِّر الذنوب التي وقعت في الأسبوع الذي مضىٰ، و رمضان يكفر ذنوب السنة الماضية، هذا كله من فضل الله علىٰ عباده أن تصير ذنوبهم إلىٰ التكفير وإلىٰ العفو من الله والصفح من قِبَله، لأن الذنوب إذا تكاثرت علىٰ أصحابها كان هذا من أسباب الهلاك، فكن – أيها المسلم – ممن يحرص علىٰ تكفير ذنوبه وغفرانها علىٰ مرِّ الأيام والشهور والأعوام حتىٰ تَخِف أوزارك وتَقل آثامك، فما

أحوج كل مسلم ومسلمة أن يكونوا علىٰ هذا.

قال الحسن البصري رحمه الله: "إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون، وخاب فيه المبطلون، أما والله، لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ".

فانظر من أيِّ الصنفين أنت من صنف المسابقين والمبادرين والمسارعين إلىٰ طاعة الله عز وجل ام من الصنفين الذي خذل في رمضان شهر العبادات والطاعات والصدقات، وشهر الذِّكْر، والإحسان، والدعاء والاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير، فهذه كلها مشروعة في غيره إلا أنها في رمضان آكد وأوكد، والمطلوب الاستكثار منها علىٰ مرِّ الزمان لا سيما في رمضان، فمن شغل نفسه في هذا الشهر ووظفها في طاعة مولاه فما أكرمه علىٰ الله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين المتفضل علىٰ عباده بما سبق ذكره .

فيا أيها المسلم الكريم، انظر ماذا صنعت في هذا الشهر، احذر خدش صيامك فكما أن الأكل أو الشرب أو الجماع كل واحدة من هذه تبطل الصيام فكذلك الآثام في رمضان تُبطل الثواب، فالآثام وإن كانت لا تبطل الصيام لكنها تبطل ثواب الصائمين وتكون سببًا في حرمانهم من نيل مغفرة الله عز وجل وفضله وكرمه.

وعلىٰ هذا فالحذر من الوقوع في الآثام والمعاصي والأوزار في رمضان كالحذر من الوقوع في الأكل والشرب والجماع في نهاره، فمن لم يحذر الوقوع في المعاصي فإنه قد يُبتلىٰ بالوقوع فيها فيحرم من مغفره الله.

وقد جاء عن عدة من الصحابة أنهم كانوا يقولون في آخر رمضان: «**أليت شعري من هو المقبول فنهنيه، ومن هو المحروم فنعزيه**» هكذا المحروم من مغفره الله يعزىٰ لأنه كالمصاب في أهله وماله وأحبابه.

وقد يقول قائل: وما هي العلامات التي تدل علىٰ أن فلانـًا قُبِل صيامه وأن فلانـًا لم يُقبل صيامه، وأن فلانـًا غُفر له، وأن فلانـًا لم يُغفر له؟

الجواب :ذكر بعض العلماء علامات تدل علىٰ أنه يرجىٰ لفلان الفوز بمغفرة الله والظفر بالقبول عند الله الإكرام الإلاهي له بتوبة الله عليه ومن هذه العلامات أن يكون الصائم قد أدىٰ الواجبات وابتعد عن المحرمات.

ومن العلامات أن يكون بعد رمضان أحسن منه قبل رمضان، فلو أنه كان قبل رمضان يتلاعب بصلاة الجماعة فصار بعد رمضان يحافظ علىٰ صلاة الجماعة فهذه من العلامات الدالة علىٰ ما سبق ذكره.

ومن العلامات ايضـًا:أن يكون بعد رمضان شديد الخوف من الله، يُعلم منه ذلك بحيث إذا دُعي إلىٰ معصية قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وقال: معاذ الله أن أعصي الله، فهذه من علامات قبول توبته، ومن علامات مغفرة الله له.

أستغفر الله، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وأصحابه، أما بعد:

كما تعلمون أن الله فرض علينا جميعـًا أن نتوب إليه وهذه التوبة فرض العمر كله فليس وقت من ليل أو نهار إلا والتوبة إلىٰ الله واجبه فيه علىٰ كل مكلف وهي في رمضان آكد وأوكد ولكن هناك من المسلمين من يتوب إلىٰ الله في رمضان يؤدي الواجبات ويترك المحرمات وينوي بعد رمضان أن يرجع إلىٰ ما كان عليه قبل رمضان فهذه التوبة ليست التوبة التي فرضها الله علىٰ عباده بل هي توبة تابعه لهوىٰ صاحبها ألا ترىٰ أنه إذا جاء رمضان تاب إلىٰ الله،وإذا انسلخ رمضان نقض ما عاهدا الله عليه في رمضان ألا ترىٰ إلىٰ عظيم الخطر في التحول والتغير والإنحراف في النية والمقصد والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة فيا له من خراب بعد بناء وفساد بعد صلاح وبعد عن الله بعد القرب منه

فمتىٰ تصلح أمورهذا عند ربه؟ ومتىٰ يصدق مع الله؟ ومتىٰ يخلص لله؟ و يكون عبداً لله لا عبداً للهوىٰ، وللشهوات، والشيطان، فهذا الفعل منه يدل علىٰ ضعف معرفته بالله ووهن الإيمانه به وانعدام الخشيه منه والمراقبه له فأين هذا من قوله تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]، والتوبة النصوح التي عمَّت جميع الذنوب والتي عمَّت جميع الأوقات، وهذا الفهم من الأمور المهمة جِدًّا.

فاحذر عبد الله أن تكون وليًّا لله في رمضان فقط عدوًّا لله بعد رمضان، فادع الله أن يعينك، وأن يسددك، وأن يقويك علىٰ طاعته والوقوف عند حدوده، وترك ما حرم عليك واداء ما أوجب عليك بعد رمضان كمثل رمضان.

فإنك إذا استعنت بالله وصدقت في ذلك معه سهلت عليك العبادات التي تتكاسل في القيام بها وطهر للبالغين في الإصرار علىٰ ارتكاب الآثام والأوزار ومما علمنا رسولنا عليه الصلاة والسلام ما جاء من حديث ابن عباس عند أبي داود وغيره قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «**فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث وطُعمة للمساكين**»، فهذا الصدقة فُرِضت من أجل إصلاح ما حصل من شيء من خرم الصيام وخدشه ، انظروا إلىٰ العناية بصحة الصيام وسلامتة ، فكونوا حريصين علىٰ ذلك.

فإذا انتهىٰ الناس من رمضان من صيامه ومن قيامه ومن العبادات الأخرىٰ من الله عليهم بإعتاقهم من النار وبالمغفره وغير ذلك من العطايا والمواهب الجزيله من الله .

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا عدوًّا إلا قصمته.

اللهم تقبل صلاتنا، وتقبل صيامنا، وتقبل قيامنا، وتقبل صدقات المتصدقين منا، اللهم تقبل منا صالح الأعمال، اللهم تقبل منا صالح الأعمال والأقوال يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من عتقائك في هذا الشهر الكريم، اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من عتقائك، اللهم إنا نسألك المغفرة الواسعة لنا ولجميع المسلمين والرحمة العميمة.

اللهم إنا نسألك أن تدفع عنا وعن سائر المسلمين جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

اللهم منزل الكتاب، و مجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم أعداءك وأعداء دينك وأعداء أوليائك، اللهم اهزمهم، اللهم أنزل نصرك علىٰ عبادك الموحدين وعلىٰ المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي كل مكان، اللهم أنزل عليهم نصرك وتأييدك وحفظك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين.